صورة المكان الروائي عند سهيل إدريس باريس في رواية الحي اللاتيني

أنموذجاً

Picture of story place in Suhail Idris Novel Tripl The case of Paris image in "Al Hay Allatini "novel

أ.م.د.عبدالله حسيني [١]
Dr.Abdullah Hosseini
أ.م.د.هومن ناظميان [٢]
Dr.Hooman Nazemian

الملخص

اصطبغت الحياة الباريسية في روايات سهيل ادريس بالأخص في الحي اللاتيني حياة المجون والفرح والمقاهي الباريسية العريقة والنساء العاريات التي تشكل منعطفاً خطيراً في حياة العرب المهاجرين الى باريس للدراسة.وكان الأولى بالروائي اللبناني العريق أن ينتقد تلك الحياة الماجنة التي لا تتلاءم وحياة الانسان العربي المحافظ.

كما وتأثرت روايات سهيل ادريس بمناخ باريس الممطر والكئيب في فصل الخريف والذي يملئ قلوب اشخاصه كآبة وتبعث فيهم الغربة فيرتقبون يوم عودتهم الى بلادهم ويحسدون من يعود الى بلاده بلاد الشمس والربيع والخريف الدافئ. ويمكننا أن نقول أن وصف جمال باريس ونساء باريس و بيئتها على أساس رؤية البطل الإدريسي وصف يغلب عليه نوع من عقدة النقص أمام الغرب ولاسيما باريس.

١- ايران / جامعة الخوارزمي/كلية الاداب والعلوم الانسانية
٢- ايران / جامعة الخوارزمي/كلية الاداب والعلوم الانسانية.

Abstract

The purpose of this paper is to examine the image of the city in a novel triple Suhail Idris, contemporary Lebanese author who wrote novels and stories of his term because he has a special place among contemporary scholars and fiction. Tale of a romantic life and the Al Hay Allatini that traces the events during the Suhail Idris Al Hay Allatini in Paris tells and has significant impact on the lives of this lebonanese literary scholar and the novel of Al Hay Allatini which represents the return of Arab intellectual life of Paris in the heart of the political, social, Lebanon. This paper examines the effects of images of Paris in the famous story Suhail Idris, the Al Hay Allatini explains. Also we study the world Al Hay Allatini hero to Paris as the city of light and beauty and one of the manifestations of Western Civilization in contemporory Arabic literature and we study thematic and semiotic story trying to study the evolutionary the criticism of the approach.

المقدمة

اتجهت تلك الدراسة للتأمل في جزئيّة من جزئيّات النقد الادبيّ الحديث في دراسة(صورة المكان الروائيّ في ثلاثيّة سهيل إدريس، صورة باريس في رواية الحي اللاتيني إنموذجا).

تعدّ الرواية العربية المعاصرة بحراكبيرا يشتمل على العناصر العديدة من الأماكن الجديدة وصورها و شخصياتها و وجهات نظر مختلفة من الأبطال العديدة تتبلور في الأمكنة القصصية، فكل هذه العناصر تستحق أن تكون موضوعاً خاصا ومتفردا بذاته للدراسة بسبب أهميته بين عناصر الرواية، ولقد حصل المكان الروائي على أهمية خاصة عند النقاد والباحثين وكثرت البحوث في موضوعاته وصوره وكيفية تقديمه إلى القارئ وإلقاء الأفكار المتعددة الشخصية إليه. اتخذت دراستنا سبيل للتحقيق وهو:التحليل المضموني وفي كل البحث كان التركيز على صورة باريس في رواية الحي اللاتيني.

ولعلّ أهم أسباب إختيار المكان الباريسيّ لتلك الرّواية يتمحور في الاتي:

١. يبدو أن أهم خصائص المكان الروائي في رواية الحي اللاتيني هي أن باريس مكان روائي واسع و مفتوح وفيها شخصيات و أماكن كبيرة و صغيرة تشتمل على المسارح والمطاعم والسينما والجامعات و مراكز العلم والأسواق والشوارع و هذا المكان ليس مكان خيالي بل مكان واقعي وصفه سهيل إدريس واقعيا كما يكون، وبما أن هذه الرواية، رواية رومانتيكية يظهر المكان الباريسي فيها معبرا عن نفسية الشخصيات الشرقية والغربية فيها.

٢. يبدو أن باريس انفردت ببعض الأوصاف من أمثال الحضارة وتعدد الحضارات والعلم والمعرفة والأبنية المرتفعة الكبرى والسماء الداكنة والطقس الحزين والمطاعم والساحات الجميلة والنساء العاريات

الغربية والمتاحف الثقافية ومملوءة بالمسارح الغربية وقصور الملوك المدهشة. وهذه تبدو حتى في العنوان الراوئي لسهيل إدريس "الحي اللاتيني" الذي يدلّ كمجاز جزء على الكل على مكان إقامة الطلبة الأجانب في باريس الذين يعجبون خلال صفحات الرواية بمظاهر باريس الجميلة والخلاعية والعلمية مثل جامعة السوربون.

٣. يبدو أن البطل الإدريسي شديد التأثر ببيئة باريس وصور الحياة الغربية فيها لذلك يصور البطل باريس كمدينة التحرير من القيود الشرقية ومدينة الجمال والعلم و التقدم. ويمكننا أن نقول أن وصف جمال و تقدم ونساء باريس و بيئتها على أساس رؤية البطل الإدريسي وصف يغلب عليه نوع من عقدة النقص أمام الغرب ولاسيما باريس.

من هنا يتجسّد مسوّغ علميّ للتأمّل في هذا الموضوع على وفق دراسة وصفية تحليليّة تضمّنت الاجابة على الاسئلة الاتية:

١. ماهي أهم خصائص المكان الروائي(قصدنا باريس) في رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس؟
٢. ما هي أهم أوصاف انفردت بها باريس وأماكنها الحضارية في رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس؟
٣. كيف يصور البطل الإدريسي تجليات المكان الروائي(باريس) في رواية الحي اللاتيني؟

كل هذه الأسئلة تشغلنا لكي نسعى هذا البحث للإجابة عنها لنقدم إسهاما في الدراسات الأدبية المعاصرة.

وأسلمنا تحقيق هدف الدراسة إلى اتباع عدة مناهج لمناسبته لنوع البحث واستعنا بالاستقراء والاستنتاج لطبيعة المادة العلمية منها التزاوج بين منهج التحليل المضموني ومنهج التحليل البنيوي التكويني الذي يهتم بدراسة أثر البيئة على النص و دراسة رؤية الشخصية الروائية إلى العالم وهو الكاتب نفسه. كما استخدمنا المنهج السيمائي في تحليل عنوان الرواية كأحد رموز النص الروائي الإدريسي وعن طريقه استطعنا تفكيك رمز العنوان الروائي للحي اللاتيني ولذلك بمزج هذه المناهج النقدية نقترب في هذا البحث المنهج التكاملي.

وقد حددنا عينات البحث في هذه المقالة على عينة واحدة وهي رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس الكاتب اللبناني. إن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع تتوزع على نوعين: ذاتية وموضوعية. فالذاتي منها هو حبنا الشديد للدراسة والبحث في الروايات المعاصرة العربية وعناصرها وصور الأماكن والشخصيات والأزمنة فيها، والدوافع الموضوعية هي: الاشتياق لقراءة الروايات العربية المعاصرة باعتبارها نوع أدبي جديد وممتاز والمحاولة على فهم خصائصها وعناصرها الروائية ومضامينها.

ويجدر بنا أن نصرح أنها قليلة تلك الأقلام التى تناولت صورة باريس في الرواية العربية المعاصرة و تناولت الكاتب بالدراسة، والتحليل النقدي الجديد في المقالات والكتب، إلا أن هذه الدراسات في معظمها موجزة، إما أن أصحابها كانوا يركزّون على دراسة سيرته الشخصية، وعلاقاته الاجتماعية، ومسيرة حياته الأدبية، وإما أنهم يركزون على بعض الجوانب النقدية الاجتماعية. منهم د.عبدالله حسيني مشتركا مع د.حامد صدقي الذي تناول في مقالته:" مشكلة الاغتراب الروائي في المكان الضد؛ قراءة في

رواية الحي اللاتيني أنموذجا"[٣]، الجوانب الاغترابية الإجتماعية التي حدثت للبطل الإدريسي خلال حضوره في باريس في رواية الحي اللاتيني ومنهم: خليل الشيخ:" باريس في الأدب العربي الحديث دراسة نقدية في اشكالية العلاقة بين المركز

والأطراف "في القسم الأكبر من بحثه إلى باريس وأثرها على الأدب العربي الحديث على جميع المستويات، السياسية منها والاجتماعية والثقافية والحضارية. وحامد النّسّاج الذي تناول في إحدى فصول دراسته "بانوراما الرواية العربية الحديثة" أبعاد الفكر الوجودي في روايات سهيل إدريس وإبراهيم السعافين الذي تناول في فصل من دراسته "تطور الرواية العربية في بلاد الشام"روايات سهيل إدريس بصفتها نمط من الروايات الفردية، المغرقة في الذاتية والمعزولة عن الظروف الاجتماعية والمعطيات التاريخية. ولعل هذه العناوين استعنت بقراءتها ودراستها بما شجعتني للمحاولة والاستمرار في بحثي الجديد. لذلك بعد متابعتنا للاهتمام النقدي والفكري بفكرة باريس في الروايات العربية اللبنانية المعاصرة لم نعثر على موضوع يتناول صورة باريس في رواية الحي اللاتيني موضوعيا وفكريا ومضمونيا.

وقد إقتضت ضرورة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث تضمن المبحث الاوّل سهيل إدريس حياته وأدبه، امّا المبحث الاخر فتضمّن ملخّص رواية الحيّ اللاتينيّ ونقد العنوان والغلاف وتجسّد المبحث الثالث خلال صورة باريس في رواية الحيّ اللاتينيّ

ولعلّ في ذاك البحث فيه ما ينفع الباحثين.

المبحث الأول:أسمه وولادته:

ولد سهيل إدريس في بيروت (حي الخندق الغميق) سنة ١٩٢٣ من أب تاجر يرتدي الزي الديني كما يقول نفسه: ولدت في بيروت يوم السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٣، ولكن تذكرة هويّتي الحالية تقول إني كنتُ من مواليد ١٩٢٣.»[٤] ثم يقول: «اسم أبي: شريف إدريس، كان أبي، على ما يروي الأقرباء، من أغنياء التجار في منطقة المرفأ بالعاصمة، حيث كان يدير مع عمّي تجارة "مال قبّان" ولكنه كان يتجاوز الكرم والأريحية إلى الإسراف والتبذير... وكان أبي يرتدي ثياباً تجمّع بين الدينيّ والمدنيّ: فهي تتألف من بنطال كالبناطيل المدنيّة، وإن كان أوسع، وسترة كجبب المشايخ، وإن كان أقصر.»[٥]

دراسته وثقافته:

سهيل إدريس هو أديب في الدرجة الأولى، روائي، وكاتب قصة، وناقد أدبي. وهو واحد من الذين ترجموا عن الفرنسية روايات ومسرحيات وسير ذاتية وكتب نقد لكبار الكتاب، وفي مقدمتهم جان بول سارتر. لكن الذين يعرفون سهيل إدريس معرفة كاملة وشاملة ينظرون إليه أكثر من روائي وكاتب قصة. إذ«هو توقف عن الكتابة في هذا الجنس الأدبي منذ زمن طويل، وتفرغ للعمل الثقافي نشاطا متعددا،

٣- ينظر: مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، فصلية محكمة، العدد ٤، شتاء ٢٠١١/١٣٨٩، سمنان، ايران، ص ٣٥-٥٨

٤- ذكريات الأدب والحب، سهيل إدريس الجزء الأول، ص ٥.

٥- المرجع نفسه: ص ١٧ و ٨.

ومنابر متعددة، وموقعا في هيئات ثقافية متعددة. ولذلك فإن أهل الثقافة ينظرون إليه – قبل صفته التي يحبها كمبدع رواية وقصة وكمترجم لأعمال كبيرة –كمنشئ لواحدة من أهم المجلّات الأدبية العربية (مجلة الآداب)، وكمؤسس لدار نشر هي واحدة من أهم دور النشر العربية (دار الآداب)، وكصاحب معجم (المنهل الفرنسي – العربي) هو من أهم القواميس»[٦].

نتاجه الادبي والفكري:

وقد كتب الدكتور سهيل إدريس عديد البحوث والمقالات في الأدب والسياسة والفكر كما كتب في القصة والمسرحية وترجم الكثير من الكتب والمقالات. في الرواية: (أ) الروايات والقصص:

– «سراب» نشرت «مسلسلة سنة ١٩٤٨ في صحيفة بيروت المساء».[٧]

ثلاثيته الروائية و هي من أشهر رواياته:

– «الحيّ اللاتيني» صدرت سنة ١٩٥٣ عن دار العلم للملايين. – «الخندق الغميق» صدرت سنة ١٩٥٨ عن دار العلم للملايين. – «أصابعنا التي تحترق» صدرت سنة ١٩٦٢ عن دار الآداب.

في القصة: يقول سهيل إدريس: «لقد بدأت كتابة القصة وأنا لم أتجاوز الخامسة عشرة، ونشرت لي المجلّات والصحف بعض الأقاصيص في الأربعينات».[٨]وله ست مجموعات قصصية هي:

«أشواق»(١٩٤٧)،«نيران وثلوج»(١٩٤٨)،« كلهنّ نساء» (١٩٤٩)،«الدمع المرّ»(١٩٥٦)،«رحماك يا دمشق» (١٩٦٥)،«العراء»(١٩٧٣).

وقد طبعت هذه المجموعات القصصية في كتابين «أقاصيص أولى» و«أقاصيص ثانية»سنة ١٩٧٧ ويحتويان على ٤٨ أقصوصة.(ب) دراسات ومسرحيات: القصة في لبنان، ١٩٥٣، زهرة من دم، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩، مسرحية في ثلاثة فصول في الأدب:«محاضرات عن القصة في لبنان» (١٩٥٧)،«مواقف وقضايا أدبية» (١٩٧٧). مقالات:«في معترك القومية والحرية» (١٩٧٧) وفي هذا الكتاب يشير سهيل إدريس إلى «مواقفه من الحوادث المصيريّة التي واجهها العالم العربي ولبنان خلال العقود الحاسمة بين بداية الخمسينات حتى الربع الأول من السبعينات، والتي نشرها في مجلته الآداب. وجمعها لاحقا في كتابه في معترك القومية والحرية إلى مقدار حماسته آنذاك.»[٩]

ج) ترجمات وقواميس: أقبل الدكتور سهيل إدريس بطاقات الآخرين، ومن التأثر بها والاقتباس عنها واستيلاء قدرات كامنة في ذواتنا تتيح لنا خلق إبداع شخصيّ جديد لايقلّ غنىً، وأهمية عن إبداع الذين نتأثّر بهم».[١٠]وترجماته هي: سارتر والوجودية لألبريس، ١٩٥٣، الطاعون لألبير كامو، بيروت، المنشورات العربية، ١٩٥٩، مذكّرات برجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران، ١٩٧١، الثلج يشتعل لريجيس دوبرية، ١٩٧٨، مَن أكن في اعتقادك؟ لروجيه غارودي، ١٩٧٨، كامو والتمرد، لروجيه دولوباي.

٦– ذكرى سهيل إدريس، كريم مروة،ص ١١٥.

٧– محاضرات عن القصه في لبنان، سهيل ادريس، ص٩٨

٨– أقاصيص أولى، سهيل إدريس، ص ١.

٩– ادبنا والترجمه، ضمن مجلة الاداب، سهيل ادريس، ص١

١٠– ابن الخندق الغميق ذهب ليبحث عن نفسه الضائعه، رفيف رضا صيداوي، ص٤

ومن نتاجه الادبي والفكري ماتركه المنهل (قاموس فرنسي–عربي) بالاشتراك مع الدكتور جبّور عبد النور في ثلاثة أجزاء وقد صورت طبعته الأولى سنة ١٩٧٠. يعتبر المنهل معجماً شاملاً يضمّ آلاف الكلمات التي أمعن المؤلّف في تدقيقها مستنداً بذلك إلى عدد لايُحصى من المصادر (باللغتين الفرنسية والعربية) التي قام بدراستها عن كثب. والحق أن تثبيت المعنى الدقيق واختيار المرادف ليس بالأمر الهيّن في العمل المعجمي وقد تحدّث عن ظروف تأليفه قائلاً: «وفي عام ١٩٦٧ بدأت بتأليف قاموس «المنهل» الفرنسيّ– العربيّ مع زميلي جبّور عبد النور بعد كارثة ١٩٦٧ التي زرعت في نفسي مأساة كبيرةً حسبت أنّني أضعف حدّتها بالانصراف إلى عمل معجميّ يستغرقني بكل حواسّي».[١١]

المبحث الثاني:الحي اللاتيني الدلالات الاساسية:

أ- سيميائيّة العنوان في رواية الحيّ اللاتينيّ:

تمتّعت عناوين الكتب بإهتمام الباحثين في الأبحاث التي تعني بالمواد والمكونات. فعلى سبيل المثال وظائف العنوان عند جيرار جينت [١٢].التعرف على العمل الأدبي وتحديد مضمونه ثم إبرازه. فبعض عناوين الكتب والتأليفات تهدينا إلى مضامينها وبعضها على وجهات النظر الموجودة فيها وبعضها تدلنا على مكان الرواية وأهميته للكتاب واستخدام الشخصيات والأحداث عليه وفي عنوان رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس كلمتان تدلان على مكان الرواية و أحداثها فيها، أو ربما الحي اللاتيني بمثابة مجاز الجزء بالكل يعني أنه نص أصغر يدل على مضمون و مكان أكبر للرواية وهو باريس.

إن الحي اللاتيني في الواقع عنوان يدلّ على حي الطلبة الأجانب الذين يسافرون إلى باريس لاستمرار الدراسة في المراحل العليا الجامعية ويشتمل هذا الحي على جامعة السوربون بباريس، وهي قريبة من الأماكن الحضارية والتمتع والعلوم في باريس إذا كان عنوان الكتاب كما يعتقد الباحثون والنقاد المعاصرون عادة ما «يكون أول ملامسة تصافح عين المتلقي وتساهم في تحديد توقعاته و رؤيته»[١٣]، فإن عنوان كتاب سهيل إدريس(الحي اللاتيني) ليرشدنا لانتماء محتوى أثره الروائي الأدبي والثقافي والحضاري إلى الغرب وخاصة باريس وفي الواقع هذا العنوان كبنية سطحية تحيلنا على أبنية عميقة، بإعتباره النص الأصغر يدل بطريقة على مضمون "النص الأكبر".

ب - سيمائية الغلاف في رواية الحي اللاتيني:

بعد أن قرأنا سيميائة العنوان، سوف نقرأ في هذه الفقرة غلاف الرواية قراءة سيميائية ومن الجدير بالذكر أن الغلاف يعد عتبة ثانية للنص بعد عتبة العنوان، وعن طريقه يعبر الناقد السيميائي عن أعماق النص، ويدخل النص الموازي، والنص الموازي عند جيرار جينت هو«ما يصنع بالنص من نفسه كتابا، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، وعموما على الجمهور، أي ما يحيط بالكاتب من سياج أولي وعتبات

١١– البطل في ثلاثية سهيل ادريس: سهيل الشملي، ص١٣٣.

١٢– Genette, Gerard, palimpsests, p72.

١٣– الرواية والمكان، ياسين نصير، ص٩٧، نقلا عن نجيب الكيلاني و بلقاسم دفه: التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية حمامة السلام: ٨٥

بصرية و لغوية».[١٤] يطلق جيرار جينت على الغلاف اسم النص المحيط والنص الفوقي. ويشمل النص المحيط أو الفوقي كل مايتعلق بالشكل الخارجي للكتاب كالصورة المصاحبة للغلاف [١٥] أو الألوان التي يتشكل منها الغلاف. إن الطبعة التي نعتمد عليها في دراستنا هي الطبعة الرابعة عشر"٢٠٠٦" الصادرة عن دار الآداب البيروتية التي أسسها سهيل إدريس نفسه مع نزار قباني. والصورة الخارجية لغلاف رواية الحي اللاتيني هي صورة باريس وبناياتها وسمائها الداكنة وعدم ظهور الشمس ولونها الذهبي في السماء ولوحة رجل يبدو هو نفس البطل الروائي الشرقي جلس على طاولة عليها أكواب القهوة والصحيفة الباريسية و في جانبها إمرأة باريسية شقراء جميلة جالسة على الطاولة.هذه اللوحة تشير إلى الحب والجمال والمغامرات بين البطل الإدريسي وجانين صديقتها الباريسية والفضاء الباريسي في بناياته وإمرأة باريسية كاشفة الرأس ولون شعر الإمرأة الباريسية أشقر ويحمل اللون الأشقر سيميائيا دلالة القوة والبريق والفرح والفوز وأيضا دلالات الضيق والوحدة والفراغ كما توجد قصة حياة جانين صديقة البطل الروائي الباريسية التي تبقي وحيدة في نهاية الرواية بعد تركها من جانب البطل و ترك باريس للرجوع إلى بيروت. أما لتحليل سيميائية استخدام اللون الأحمر على الغلاف علينا أن نقول أن هذا اللون« يرمز في الديانات الغربية للماء أو للخمر أو للحبيب أو للحب أو للعاطفة والنشاط الجنسي أو لكل أنواع الشهوة»[١٦]. لذلك نستنتج أن الاحمر لون الإغراء والحب بين شخصيات الرواية وخاصة البطل وجانين، الإمرأة الباريسية ويرمز لإثارة الهيجانات والمشاعر والحب والحرارة والشوق بين الشخصيات الروائية خلال النص الروائي.

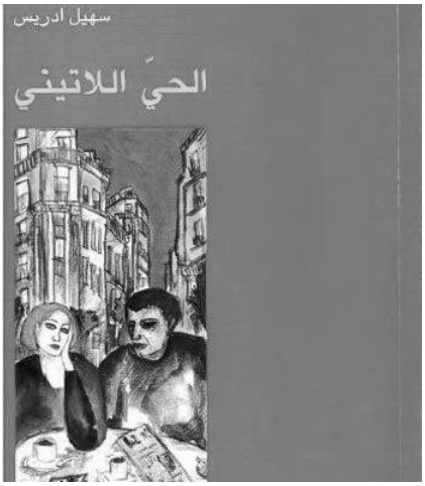

تبدأ رواية "الحي اللاتيني" بالكلمات التالية المترعة بالدلالات: «لا ما أنت بالحالم، وقد آن الأوان لك أن تصدق عينيك. أو ما تشعر باهتزاز الباخرة، وهي تشق هذه الأمواج، مبتعدة لك عن الشاطىء، متجهة صوب تلك المدينة التي ما فتئت تمر في خيالك، خيالا غامضا كأنّه المستحيل؟ لا، ليس هو بالحالم».[١٧]

يغادر بطل الرواية بيروت مدينة الكبت والحرمان كما يرى، ويقصد باريس لتتحرّر من عقدة الحرمان والخوف من المرأة، وهناك يكابد نزعتين متناقضتين: النكوص إلى الماضي والتشبث بصورة الأمومة التقليدية، ثم الانفتاح على الحاضر والمستقبل والإقبال على الأنوثة بوصفها سبيلا للتخلص من التبعية والجمود. وأما بطل الحي اللاتيني الغفل، فشاب لبناني في بداية العقد الثاني من العمر، يغادر بيروت عام

١٤- Gerrare, genete, seuil, p6.
١٥- التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية حمامة السلام: نجيب الكيلاني: ٨٥
١٦- اللغة و اللون، أحمد مختار عمر: ١٦٤.
١٧- الحي اللاتيني، سهيل إدريس: ٥.

١٩٤٩ ليدرس في السوربون... أو هو، بالأحرى، لايعرف تماماً سبب مغادرته. ولكنه حين يصل إلى الحي اللاتينيّ يتمكن من معرفة السبب: إنّه المرأة. غير أن بحثه عنها لايحالفه النجاح خلال الشهور القليلة الأولى، تعاملت الشخصيةِ المحورية (البطل) مع بطلات مختلفة في باريس، هنّ فتاة السينما، وفتاة الرصيف، وليليان، ومارغريت تعاملا فاشلا تنم عن تجربة وعلاقة ناقصة، ويعيش العزلة داخل نفسه ويواري الفشل الذريع الذي أصابه من المرأة بينما ينجح معها كل من صبحي وعدنان.

ثمّ أنّه يبتعد عن صديقه ويقترب من «فؤاد»، وهو شاب سوري تعرف عليه البطل في مطعم «لوي لوغران» وقدم إلى باريس سنة ١٩٧٤، وهمّه الأول هو المرأة فصارت في ما بعد أحد همومه.

وجد البطل في «فؤاد» بعضا من قلقه ولاحظ عنده هدوء أو عمقا في التفكير، وشعورا بأهم القضايا القومية. وفؤاد في الحي اللاتيني «أكثر من مجرد صديق. إنه المناضل، بل رمز النضال وروحه. المثال الذي على مثله يجب أن ينحت كل شاب عربي.»[١٨] ويطرح فؤاد في قوله فكرة استعمار مخيف، هو الاستعمار الاقتصادي الصهيوني واليهودي، ومدى سيطرته على الفكر العربي بقوله: «ولكننا سنظل مقصرين في هذا السبيل، ولو بذلنا ملايين الفرنكات، مادام اليهود هم الذين يستولون، برؤوس أموالهم على أهم المرافق الفرنسية».[١٩]فمازال البطل يندم على ترك بلاده ويقضي أيامه مع أصدقائه: صبحي، عدنان وفؤاد وهو يبحث عن المرأة، إلى أن يلتقي جانين. وهكذا أصاب مع جانين غير المعاني اللّذة وارتقت التجربة الجسدية إلى تجربة تمتزج فيها الروح مع الجسد وفيها المرأة بجانين الواقع. مضت خمسة أشهر على تعرّف البطل إلى جانين، عرف فيها التوازن الفرديّ واكتسبت حياته معنىً جديداً، «بل حتّى صداقاته اتّخذت طابعاً مختلفاً فصار يلقى اصدقاءه متجرّداً من كل شعور بالصّغار والتفاهة، وعلاقته بفؤاد صارت أكثر متانةً منذ تعرّف إلى جانين.»[٢٠]

في الواقع لقد وجد البطل في جانين «الحبيبة المنشودة» التي «أحبّها وهو لايزال في شرقه يصوّرها في حلمه ويعاشرها في خياله ويناجيها في وحدته. أحبّها – جانين.. قبل أن يلتقي بها بأعوام طوال»[٢١].ثم تنقطع علاقته السعيدة ولكن ناقصة بها حيث يعود إلى بيروت بسبب حبّه لأمّه وشرقه ووطنه لقضاء عطلة فصل الصيف وفي بيروت، في أحضان عائلته القوية الأواصر، يتلقى رسالة من جانين تعلمه فيها بحملها، فيصدم، لكنه يذعن لضغط والدته؛ «أن هذا الأم – الماضي – الشرق، تطبق على عقل البطل وضميره، وتجعله يكتب إلى جانين الرسالة الخيانة التي أشعرته فيما بعد، بالذل والجبانة وشاركت "ناهدة" الأم في تمثيل الماضي»[٢٢] وهي «الحل الذي تقدمه التقاليد أو المجتمع [الشرقي] أو الأنا الأعلى ليصرف البطل عن خروجه عليه. هي الرشوة التي يقدمها، لكن يندمج من جديد في مجتمعه، وينسى فرديته».[٢٣]وتحت ضغوطات أمه وأخته، اضطر البطل أن ينكر أن يكون الجنين منه أمام حبيبته المنشودة

١٨- شرق وغرب رجولة وأنوثة، جورج طرابيشي: ١٠٤.
١٩- م. ن: ١٠٤
٢٠- البطل في ثلاثية سهيل ادريس: سهيل الشملي: ٧٣
٢١- نرجس في الحي اللاتيني، ضمن مجلة الاداب: يوسف الشاروني: ٥٨
٢٢- سهيل ادريس في قصصه ومواقفه: جورج ازوط: ٩٧
٢٣- الحي اللاتيني، عرض وتحليل، مجلة الاداب: يوسف الشاروني: ٥٨

«جانين»، غير أنّه لايلبث أن يندم على كذبه، ويتمرّد على إذعانه، ويعود إلى باريس سريعاً ليقترح على جانين الزواج. ولكنها لم تعد حيث كانت، وليس ثمة من يساعده في العثور عليها. فيقرّر أن يكرس حياته لدراساته في الأدب، ولرفع الوعي السياسي لدى زملائه الطلاب العرب. وقبيل عودته النهائية إلى بيروت يعثر على جانين، وقد غدت "إمرأة ضائعة" وهي قد أجرت عملية جراحية لإسقاط الجنين، وعانت في ذلك المرارة والألم الشديد وتغيّرت صحتها وأصبحت بعد ذلك فقيرة معدمة ليس لها من يعيلها ولا عمل يساعدها على مواجهة أعباء الحياة مادامت لم تستطع الحصول على شهادة في معهد الصحافة الذي كانت تدرس فيه. فيطلب البطل الزواج منها بعد أن عاتبه ضميره الحي، ولكنها ترفض طلبه، قائلة له: «لا يا حبيبي لسنا على صعيد واحد. لقد وجدت أنت نفسك بينما أضفت نفسي. فكيف تريدني أن أستطيع السير إلى جانبك، قدماً واحدة، في الطريق الشاق الذي ستسلك؟ إنّني لاأنتمي إلى جيلكم، جيلك وجيل فؤاد وربيع وأحمد وصبحي وعدنان».[٢٤]لأن جانين تعرف أنّ البطل لايستطيع أن ينسلخ عن شرقه وجذوره وما نشأ عليه من أعراف وتقاليد، وقد استوعبت جانين هذا الاختلاف الحضاري جيدا. لذلك تطلب من البطل الرجوع إلى جميع أجياله السابقة وإلى شرقه وماضيه ومجتمعه وتقاليده لكي يتناول قضايا الإنسان العربي في إحياء القضايا والعناصر القومية لدى الشبّان العرب الضائعين، الذين يفتشون عن ذواتهم بأنفسهم على مقاعد الجامعات، في المقاهي والمتنزهات العامة وبين ذراع النساء: «عد أنت يا حبيبي العربي إلى شرقك البعيد الذي ينتظرك، ويحتاج إلى شبابك ونضالك... جانين».[٢٥] فإذا افترضنا أن المؤلف لم يتدخل قسراً في وضع هذه النهاية المفتعلة المشؤومة، فلا شك في أن «جانين في قبولها الشقاء والعذاب تعاني الدونية وربّما المازوشية التي تزين لها هذا الوضع المأساوي».[٢٦] ويرى إبراهيم سعافين أنّه «من الصعب تفسير انفصال بطل الرواية عن جانين وهي المتحمسة للقضية العربية، الغارقة في سحر الشرق وعوالمه الأثيرية. ويضيف أن المؤلف جعل جانين ترفض البطل دون مسوّغ معقول».[٢٧] على أي حال في الأخير نرى أن البطل يعود إلى بيروت حاملاً شهادة الدكتوراه في الأدب العربي... والتزاما راسخا بقضية القومية العربية.

المبحث الثالث:تمثلات الصورة الباريسية في الرواية:

حين نقرأ وندرس رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس، نجد أنّه في روايته الحي اللاتيني يشير إلى سفر بطله الروائي إلى باريس للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب. لذلك كان في رؤية سهيل إدريس الروائية فرنسا ولاسيما باريس هي في المركز الأول من الأهمية، لأنها مركز الحرية؛ ومنبع العلوم والفنون و رمز التقدّم ومدينته الفاضلة ومكان تحقيق ذاته.

أمّا باريس فلاتحتلّ مكانة مهمَّة في الأدب العربي فحسب، فلهذه المدينة أهميّة كبرى على صعيد الأدب الأوروبي. « فباريس من العواصم القليلة في العالم التي ظلّت موضوعاً[٢٨] وموتيفاً[٢٩] على الصعيد

٢٤- الحي اللاتيني، سهيل إدريس:٢٦٢.
٢٥- م. ن: ٢٦٢
٢٦- صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، جان نعوم طنوس: ٢٢٢.
٢٧- تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد شام ١٨٧٠-١٩٦٧، إبراهيم سعافين،:٤٥٤ و ٤٤٩.
٢٨- Stoff

الأدبي، لما تمثّله من قيم جماليَّة وحضاريَّة. فقد تعامل الأدب معها، بغض النظر عن تقييمها سلباً أو إيجاباً، على أنها مدينة عالمية.[٣٠] قادرة على استيعاب شتى الحضارات. لتصبح مصدر إشعاع حضاري.»[٣١]

وتتبدّى بنية نصّ رواية الحي اللاتيني، بنية متحرّكة أو قلقة وإنّها قبل أي شيء آخر بنية تحوّل وتغيّر، هذه واحدة من أهم السمات المميّزة لهذا العمل الروائي.وصنّف تلك الدّراسة على وفق التالي:

أ- رؤية البطل الروائي إلى العالم:

أما في موضوع رؤية البطل الإدريسي إلى العالم ممكن أن نقارن رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم واختلافها مع رواية "الحي اللاتيني" في قضية رؤية بطلهما إلى العالم (باريس) فمن الممكن أن نشير إلى قول الناقد السوري الشهير، جورج طرابيشي، حيث يقول: «صحيح أن كلا من محسن [بطل عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم] وبطل "الحي اللاتيني" قدم إلى باريس طلباً -من حيث المبدأ- للدراسة الجامعية والعليا، بيد أن هذه كعلّة ظاهرية ليس إلّا. فبطل "عصفور من الشرق" لم يأت إلى "عاصمة النور" إلّا ليغرق زاده الروحي من متاحفها ومعارضها ومكتباتها، وعلى الأخص من قاعاتها الموسيقية. وبالمقابل، فإن بطل "الحي اللاتيني" لم يقصد باريس بصفتها عاصمة النور، وإنّما بصفتها عاصمة المرأة»[٣٢] يقول البطل مخاطباً نفسه: «تبحث عنها.. عن المرأة.. تلك هي الحقيقة التي تنساها.. بل تتجاهلها. لقد أتيت إلى باريس من أجلها»[٣٣] ثم يقول مخاطباً نفسه في مكان آخر: «أسبوع طويل ينقضي، مُنذُ قدِمتَ إلى باريس، لم تَلْقَ فيها إلّا الإخفاق إزاء المرأة. أية مرأة... لا، لاتحاول أن تحتجّ أو تنكر. أجل شرقك ذلك، لم يُغرك بالهرب منه سوى خيال المرأة الغربية، سوى اختفاء المرأة الشرقية في حياتك، إلّا أن تُطلّ في بسمة لاتزيد الحرمان إلّا حرمانا...»،[٣٤] ثم نرى أن البطل الشرقيّ العربي لايستطيع أن يذوق الأبعاد الجمالية لباريس، قبل أن يصل إليها ويراها، إلّا عبر ربطها بمثيلاتها في بيروت أو بلد عربي آخر. فحين وصلت سيارته إلى "الحي اللاتيني" في باريس يقول مخاطباً نفسه: «أنحن حقاً في الحيّ؟ حين كان يُذكر أمامه اسم "الحي اللاتيني" كانت تنفر إلى مخيّلته صور حي من أحياء بيروت القديمة، تقوم فيه بيوت متواضعة، أغلب الظن أنها من الخشب...»[٣٥] ومادام رؤية سهيل إدريس في هذه الرواية إلى باريس (العالم الغربي) تعتمد على جمال باريس ومستمدة من طبيعتها الموضوعية التي تنشأ من الذاكرة الأدبية للمؤلف.

وفي الأخير نذكر قول سهيل إدريس في رؤيته للعالم إلى الإنسان والبطل الشرقي في الغرب وأعماله التي يرتكب بها إذ يقول:

٢٩- Motif.

٣٠- Wettstadt: .

٣١- باريس في الأدب العربيّ الحديث: خليل الشيخ ص ١٧.

٣٢- شرق وغرب، رجولة وأنوثة: جورج طرابيشي: ٧٣-٧٢.

٣٣- الحي اللاتيني: سهيل ادريس: ٢٣

٣٤- المرجع نفسه: ص ٢٥.

٣٥- المرجع نفسه: ٩

«وبعد، فإن إنسان روايتنا الحديثة، وبطلها في آن واحد، هو كائن يبحث عن ذاته الحقيقية عبر تجارب كثيرة، يبدو فيها تائها قلقاً غير مستقر، يسافر طويلا في الماضي [كما نرى البطل في الحي اللاتيني] ويشطح إلى المستقبل، ويبلو كثيراً من النساء، ويأثم ويخون ويتعثر، ويحب الحب العاطفي، والحب الشهواني ويخيب فيهما كليهما، [إمّا في الغرب وباريس وتجربة فتيات باريس وجمالهن، إمّا في الشرق وبيروت وتجربة فتيات الشرق.] ولكنّه يبدأ من جديد، ويحاول مرّة أخرى...»[٣٦]

ب-باريس لدى الشخصية الرئيسة للرواية(تفوّق باريس على الشرق):

يتحدث سهيل إدريس عن الفترة التي قضاها في باريس كفترة الثقافة والعلوم الأدبية العظيمة وهي التي شكلت أَساس فكره وأدبه فيما بعد في الوطن العربي:« إنني ذهبت إلى باريس بمنحة من وزارة التربية... ولكنني في تلك الفترة التحقت بالسوربون وعشت ذلك الجو العلمي العظيم في مكتبة السوربون الكبرى وعقدت صلاتي الأدبية والثقافية مع الشباب العرب الذين كانوا في تلك الفترة في العاصمة الفرنسية، والذين شكّلوا فيما بعد نواة لجيل ثقافي مهم سيّر دفة الفكرة والأدب في الوطن العربي كله...»[٣٧] تتبدّى بنية النصّ في ذلك المسعى الذي تنغمس فيه الشخصية الرئيسية (الطالب البيروتي المسافر إلى باريس للدراسة ونيل شهادة الدكتوراه) لتحقيق ولادة جديدة انطلاقاً من التعارض الحادّ الذي تقيمه بين ماض ترفضه، وحسب راي الكاتب يتجسّد في حياة قديمة جامدة وخانقة تجعلها شيئاً تافهاً لا قيمة له، وبين مستقبل تهفو إليه آملة أن يفتح لها أفقاً جديداً يخلصها من الغفلة والعدمية ويعطي لكيانها وجوداً ذا معنى أما في هذه الرواية فالبطل وعدنان وصبحي الذين غادروا لبنان متجهين إلى فرنسا من أجل استكمال الدراسات العليا وتحضير الدكتوراه، وكل هذا على نفقة وزارة المعارف اللبنانية. بيد أن الشخصية الدينامية هي شخصية البطل التي استقرّ بها المقام بعد وصولها إلى باريس في الحي اللاتيني لتكون قريبة من جامعة السوربون.

كان البطل (سهيل إدريس) منذ بداية وصوله إلى باريس يحاول مقارنة جماليات هذه المدينة بجماليات التراث الشرقي، ليؤَكِّد تفوّق باريس. فالبطل يعترف بأنَّ هذا الذي يراه في باريس كانه ما رآه في الأحلام. فتمثّل باريس له، المدينة الفاضلة بأبنيتها المرتفعة الفخمة، ونظافتها، وجمالها، وانتظامها، فيحاول أن ينظّم مخيّلته الخاطئة من باريس، من جديد، وأن يطبع الصور الواقعية لهذه المدينة على ذهنه وبما أن «الذهاب إلى باريس كان غاية عند الكثيرين من مفكّري وأدباء مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى»،[٣٨]فإننا نرى أن الوصول إلى هذه المدينة تبدّلت إلى حلم للأدباء والمفكرين العرب مثل سهيل إدريس (بطل الرواية) وأصبح نقطة تحول مهمة في حياتهم الأدبية، والفكرية، والاجتماعية: «عمّا قليل، سيكون في الحي اللاتيني. سيتحقّق الحلم المستحيل. بعد روح قصير، ستبدأ الحياة التي ما انفكّ يعيشها في الخيال، منذ أن تهيّأت له أسباب السفر إلى باريس... حين كان يُذكر أمامه اسم "الحي اللاتيني" كانت تنفر إلى مخيَّلته صور حي من أحياء بيروت القديمة، يقوم فيه بيوت متواضعة، أغلب الظنّ أنها من

٣٦- مواقف وقضايا ادبية: سهيل ادريس، دار الاداب، بيروت، ط٢(٢٠٠٠م): ١١٤
٣٧- قطع من حوار في مجلة المقاصد: سهيل ادريس: ٨١-٨٧
٣٨- المرجع نفسه: ١٢٨

الخشب، مادام ساكنوها طلّاباً فقراء قدِموا إلى العاصمة الفرنسيّة من مختلف أنحاء الدنيا طلباً للعلم والمعرفة. أما الآن، فليس هو شعور الاطمئنان الذي يغمره إذ تمرّ بمخيّلته هذه الصور التي اخترعها خياله. شوارع فسيحة ليس في بلاده، ولا في الشرق كلّه، مثلها جمالاً، ونظافة وانتظاماً، وأبنية فخمة مرتفعة كأحداث الأبنية الكبرى التي بدأت منذ حين تنتصب في الشوارع الرئيسيّة من عاصمة وطنه.

أمّا من جهة أخرى من الممكن أن نقول أنّ لحظة ركوب السفينة من أجل الذهاب إلى باريس في رواية الحي اللاتيني، كانت تعني بداية تحقيق الحلم الذي كان غاية عند الكثيرين من مفكّري وأدباء العرب في مرحلة الحرب العالمية الأولى وفقد جسّدت باريس في نظر اولئك المفكّرين المنارة التي تضيء للعالم. وهذه ما نراه ماثلا في العبارات الأولى من أقوال بطل الحي اللاتيني، حيث يقول: «لا، ما أنت بالحالم، وقد آن لك أن تصدّق عينيك، أوَما تشعر باهتزاز الباخرة، وهي تشقّق هذه الأمواج، مبتعدةً بك عن الشاطئ، متّجهة صوب تلك المدينة التي ما فتئت تمرّ في خيالك، خيالا غامضاً كأنَّه مستحيل؟»[٣٩]أما سهيل إدريس كانت في هذه القضية (ركوب السفينة من أجل الذهاب إلى باريس) مشتركة ومتشابهة مع طريقة تعرّف ووصول طه حسين بباريس: «فلم يكد طه حسين يصعد إلى السفينة حتى خلع الجبّة والقفطان وارتدى الثياب الأوروبيّة، فكان تغيير الزي بهذه السرعة إعلاناً عن استعداده لقبول ما سيُقدم عليه من تحولات فيما بعد.»[٤٠]

١. باريس مدينة الإعجاب و الجمال والتمتع:

أمّا يجب أن نذكر أن البطل الإدريسي ينبهر ويعجب ببعض معالم الحضارة الباريسية ويمدحها ويستلذ منها، ويكره بعضها الآخر، فكثيراً ما نرى أنه يرسم ملامح باريس على ضوء عالم حضاري جذّاب وما فيها من جماليات والأماكن يخلو منها الشرق وهذا البطل بسبب أنَّه يواجه التناقض بينه والعالم الخارجي (باريس)، يحاول أن يخفي كل أسباب التناقض وبسبب اصطدام ذاته بهذا العالم الخارجي، يرغب إلى الاغتراب والعزلة، وسوء الظن بالآخرين. فمن الميزات الحضارية الباريسية التي يعجب بها البطل الإدريسي من الممكن أن نشير إلى الأماكن الآتية: مقهى "ديبون" عند ملتقى "روديزيكول" و "بولفارسان ميشال"، حيث يحبّ ويشيد البطل بهذه المقهى في الرواية ويقول: «"ديبون" هذا الذي سمع عنه الكثير من رفاق لهم مكثوا في باريس ردحاً من الزمن: ملتقى المتحرّرين أبعد حدود من فتيان الحي اللاتيني وفتياته...»[٤١]

ثم نرى البطل أنه أخذه العجب من الساعات الثلاث التي يراها في الحي اللاتيني ومن مظاهر جمال باريس، هي: ساعة «الدائرة الخامسة تجاه "البانتيون"، وساعة السوربون، وساعة كنيسة "نوتردام"»،[٤٢] وهذه الساعات تدقّ دقّات أقوى وأشد وحين تنتهي و «تلاشت الأصداء، أخذه [البطل] العجب من

٣٩- الحي اللاتيني: سهيل ادريس: ٥
٤٠- في الصيف: طه حسين (١٩٨١): ٣٩
٤١- الحي اللاتيني: سهيل ادريس: ١٣
٤٢- المرجع نفسه: ٢٣

أنَّه لم يتنبَّه قبل الآن إلى هذه الساعات الثلاث. أفكانت معطّلة أم أنّ نفسه كانت: قبل هذه الليلة، مكتظة بالأصوات؟»[٤٣]

وكثيراً ما يعجبه الذهاب إلى سينما "البانتيون" في الحي اللاتيني، فحين غادر فندقه، بعد أسبوع كامل من قدومه إلى باريس، ليشاهد فيلما سينمائياً -وكان أول خروج ثقافي له- «لم تكن الرغبة الملحة في رؤية الفيلم هي التي تدفعه»،[٤٤] وإنّما ليلتمس «العزاء والتفريح»[٤٥] ولينسَ «الخيبة التي تملأ نفسه الفارغة بالمرارة»[٤٦] وفي الواقع يهرب من أفكاره التي يلسعن جسده ومن جراحاته التي توجد في دنياه الشرقية، وناره التي تلتهب في جسده ويريد أن يرى نساء باريسية عاريات، ويتمتع ويتلذّذ بهن. وتوكيداً على «رجحان كفة باريس -المرأة رجحاناً مطلقاً على كفة باريس- الثقافة، لابأس أن نتوقّف مليا عند بعض ما حدث في داخل دار سينما. فقد كان الفيلم المعروض ليلتئذ فيلماً ثقافياً رفيعاً، وقد أثارت قراءة أسماء ممثليه في نفس بطلنا الإعجاب والعجب: جان بول سارتر، أندريه جيد، بيكاسو، جان روستان، لوكوربوزييه، وغيرهم من الأعلام من "أدباء فرنسا وعلمائها وفنانيها". وفي البداية، أخذ بطلنا بالفيلم بكل ما في الكلمة من معنى، وأمضى دقائق مسحورة مع سارتر وروستان وغيرهما... حتى انقطعت دائرة الاهتمام والسحر الثقافي لدى بطلنا بالفيلم، وإنّما بكل البساطة لأن المقعد الفارغ إلى يساره قد امتلأ لحظتئذ بحضور امرأة. فقد شغلت فتاة المقعد اليساري "فكره ووجوده"، وأنساه حضورها كل شيء آخر، بما فيه الفيلم وممثلو الفيلم.»[٤٧]

٢- باريس مدينة المسارح الغربية الحضارية:

ومن العوامل الأخرى التي جعلت باريس مهمة على الصعيد الثقافي للبطل، وجود المتاحف والمسارح الكثيرة فيها وقد ظلَّ مؤمناً بأن المسارح كانت توفِّر له من متعته الفكرية، وهنا يشعر بأن حبَّ باريس يتغلغل في دمه، وإضافة إلى هذا كانت حبيبتها الفرنسية جانين، فتاة ذات ثقافة فنية، وتحبّ الشرق وقالت له «أن ما كتبه فلوبر خاصّة قد أثار حنينها يوماً إلى زيارة الشرق ورؤية الجمل والنخيل والصحراء.»[٤٨] فالمتاحف والمسارح والفتاة الباريسية المثقفة مثل جانين يملأ صدره من حب باريس، وإن كان في غياب حبيبته المنشودة: حبيبته الفرنسية تحب المسارح مثله، يحسن البطل كلّ السعادة التي تبحث عنها في باريس وفي غياب حبيبته المنشودة:

«وقد اقترحت عليه جانين يوماً أن يزور بعد ظهر يوم الأحد متحف "رودان" الدائم. وهناك اكتشف أنَّها فتاة ذات ثقافة فنيّة، وأنّها تتذوّق الأثر تذوّقاً مرهفاً... وظل مؤمناً بأنَّ المسرح كان يوفِّر له من المتعة الفكرية حظاً لاتبلغه في نفسه سائر الفنون، وهو لايذكر يوماً في أن يؤثره على سواه، أو في أن يظنّ عليه

٤٣- م. ن: ٢٤
٤٤- م.ن: ٢٥
٤٥- م.ن: ٢٦
٤٦- م. ن: ٢٧
٤٧- شرق وغرب، رجوله وانوثه: جورج طرابيشي: ٧٥
٤٨- م. ن: ٩٤

بماله، على قلّة ماله. والحق أنَّه بدأ يشعر بأن حبّ باريس يتغلغل في دمه وهو قابع على إحدى هذه الكراسي غير المريحة غالباً، متَّجه الأنظار إلى خشبة المسرح...»[٤٩]

يمدح ويقارن البطل في رواية الحي اللاتيني، المسارح الباريسية التي يحب رؤيتها كثيرا مع بلاده الشرقية التي المحرومة منها وهي نعمة عظيمة ينعم بها الغرب وتشير إلى أن باريس هي منبع الفنون ورمزٌ للجمال والحضارة الجديدة.

فنقرأ في الرواية لتوكيد على حديثنا: «تبيّن لهما (البطل وصبحي) أن بوسعهما أن يخصِّصا ليوم الأحد من كل أسبوع نفقة استثنائية يصرفان بعضها في مشاهدة مسرحية من هذه المسرحيات الكثيرة التي تعرضها المسارح الباريسية، والتي أشعرتهما بأن بلادهما، بل الشرق كلّه، محرومٌ من نعمة عظيمة ينعم بها الناس في الغرب وينشدونها ويحرصون عليها، حتى لقد غدت حاجة حيويّة من حاجات معيشتهم».[٥٠]

٣- صورة الغربة والكآبة في المكان الروائي الباريسي:

أما البطل الإدريسي حين يودّع صديقه سامي ويحاول مدّ ذراعيه لكي يعانقه يشعر بالغربة والوحشة والاضطراب في باريس ويتمنَّى لو كان مكان سامي في الطائرة ويعود إلى وطنه، لأنَّه طوال الأسابيع الثلاثة الأولى في باريس لم تظهر في ذهنه إلّا صورة جدران كئيبة سوداء وطقس باريس الخريفي وسماءها الغائمة الممطرة، لذلك لم يُعجب بطقس باريس الخريفي، لأن المدينة في هذا الطقس تبدو حزينة ووحشة وكلّما ينظر إلى جدران باريس، «يستشعر الوحشة من هذه الجدران المسوّدة التي تطلّ على الشوارع.»[٥١] وحين يودّع سامي خلف نافذة الطائرة، يشعر بالأحاسيس الغامضة الحزينة تملأ صدره في الفرار، أو في الابتعاد عن جوّها الغربي، فيقول مخاطباً نفسه: «وأنت.. هذه أسابيع ثلاثة.. وليس في ذهنك إلّا صورة جدران كئيبة سوداء، وسماء غائمة ممطرة، وليس في صدرك إلّا رغبة في الفرار، في الابتعاد. إنّك تكاد الآن تحسده، سامي هذا الذي يعود، وتتمنّى لو أنّك كنت أنت في الطائرة..»[٥٢]

وحينما تضيق به باريس، في غياب جانين، حبيبته الفرنسية، ولما يمض على غيبتها يومان، وهي غادرت باريس إلى مقاطعة "الهوت سافوي" لقضاء أسبوع الميلاد لدى خالة لها هناك، فيقترح البطل على صديقيه صبحي وعدنان أن يقوموا برحلة إلى قصور "اللوار" الأثرية.وحسب راي الكاتب فهذه الأنثوية الحالمة لباريس وطقسها الجميل والمدهش، تكشف عن مشاعر له لم تكن موجودة قبل التعرّف بجانين وطوال إقامته في الأسابيع الثلاثة الأولى بباريس. لهذا بدأ يعجب ببعض عادات أهل باريس وابتهاجاتهم غاية الابتهاج ويتذوّق طبيعة التيسير والتبسيط والترف عندهم، لأنهم يتجنبون الإطناب والتعقيد فيقول البطل: «وكان الطقس جميلا يَعِد بأيّام صَحْوٍ ممتعة، وكان ذلك غريباً في تلك الفترة من العام، ولكنَّهم رأوا الباريسيّين مبتهجين غاية الابتهاج بذلك الجو، خارجين إلى الغابات والحقول، مستقلِّين القطارات إلى الضواحي والأقاليم.»[٥٣]

٤٩- الحي اللاتيني: سهيل ادريس: ١١٠
٥٠- م. ن:٦٣
٥١- م. ن: ١١
٥٢- م.ن: ٤٨
٥٣- م.ن: ١٢٥

وليس كل أماكن باريس يعجبها البطل، وإن كان يعجبها صديقيهما صبحي وعدنان، في زيارتهم قصرين أو ثلاثة من قصور "اللوار" في باريس، لم تكن تهتزّ وتعجب بأي شعور أمام تلك القصور، وتشبها بالصخور التي صامتة ولاتعي. فيقول مخاطباً نفسه ويصف حالته من رؤية قصور باريس: «أحسّ هو بأنَّ نفسه لم تكن لتهتزّ بأي شعور أمام تلك القصور، فكأنّما هي صخرة من صخورها لاتعي. ولكنّه لم يشأ أن يعبّر عن ذلك، خوف إفساد الجو على رفيقيه، وقد سحرتهما بعض هذه القصور.»[٥٤]

٤- باريس مدينة التحرر والخلاص من الحرمان:

يمكننا القول إنّ بطل« الحي اللاتيني» يحاول في سفره إلى باريس التحرر منعقدة الذنب القديمة، و على هذا تؤدي المدينة الجميلة دور المخلصة والمساعدة في حين أن بيروت تبدو مكان الحرمان والكبت.[٥٥] لذلك يقول البطل في الرواية: « تبحث عنها... عن المرأة تلك هي الحقيقة التي تنساها..بل تتجاهلها.. لقد أتيت إلى باريس من أجلها.»[٥٦]

٥- باريس مدينة العلوم والجامعات الرصينة:

ولقد تبلورت مجموعة من العوامل جعلت باريس مهمة على الصعيد العلمي والثقافي والأدبي للبطل الإدريسي. ولو بعض هذه العوامل، كانت النتاج الفكرية، والنقدية التي تولّد من محاضرات جامعة السوربون التي كثيرا ما يستمع إليها البطل وتحمله انبهاراً وإعجاباً بها: «وشغل ساعات مابعد الظهر كلَّها بالعمل..فاستمع إلى محاضرة في (السوربون) عن جمالية الفنّ، وزار قريباً له شاعراً ينظم بالفرنسية فنَغِمَ بالإصغاء إلى بعض قصائد كان جوّها الشعري الغامض أجمل ما فيها.»[٥٧] وفي مكان أخرى نراه يقصد في التوجه والاستماع إلى محاضرة أخرى في جامعة السوربون: «وهبط إلى باحة الفندق باكراً في صباح اليوم التالي، وكان عليه أن يتوجَّه إلى السوربون لسماع محاضرة عن الشعر الفرنسي الحديث».[٥٨]

٦- باريس مدينة الساحات والمطاعم الجميلة

ومن الجماليات ألاخرى لهذه المدينة التي يعجب بها البطل طوال إقامته في باريس، هي ساحة "الأوبرا" وجادّة "الشانزليزه" فتخلق ساحة الأوبرا وواجهات المخازن فيها والاجتياز من جادّة "الشانزليزة" في نفسه لذة غريبة وجذلة:«فغادر غرفتها عند الغروب إلى ساحة "الأوبرا" وفي نيّته أن يشاهد واجهات المخازن المزدانة لمناسبة الميلاد، بكل رائع فتّان من المعروضات. وقد ظلّ ساعة ينتقل أمام الحوانيت المضاءة، حتّى أسلمته قدماه إلى جادّة "الشانزليزة"، وكان قد اجتازه مرّة من أدناها إلى أقصاها، فاستشعر لذلك لذّة غريبة».[٥٩]

هكذا ترتبط باريس في وجدان البطل (سهيل إدريس)بأماكن في باريس أسهمت في صياغة رؤيته الفكرية للعالم الغربي وتشكيل منظاره السيكولوجي للأشياء، وهذه الأمكنة هي: الوحدة التي توجد بين

٥٤- م.ن: ١٢٥
٥٥- صورة الغرب في الادب العربي المعاصر: ٢٠٣
٥٦- الحي اللاتيني: سهيل ادريس: ٢٦
٥٧- م.ن: ٣٤
٥٨- م.ن: ٨٦
٥٩-:م.ن: ١٢٦

شبّان العرب والشبان الباريسيين والحي اللاتيني وجامعة السوربون. والوحدة التي كانت في أحد مطاعم الطلاب تدعى، مطعم "لوي لوغران" والتقاء البطل بطائفة من مواطنيها السوريين واللبنانيين، ومن العراقيين والمصريين والتونسيين. والبطل وصديقه فؤاد كانا يمضيان إلى "الكابولاد" ليحتسيا فنجاناً من القهوة. وهناك كانا يلتقيان طائفة من مواطنيها السوريين واللبنانيين»[٦٠] وقد كان البطل الإدريسي في ينفر من لقاء هؤلاء المواطنين، ويتجنّبهم، ويعتقد أنّ «من الخير أن يعيش في غير أجوائهم، فإن في أحاديثهم هذراً كثيراً، وفي وقتهم ساعات كثيرة مهدورة.»[٦١]

وحين تحدَّث مع فؤاد عن بعض المظاهر المؤذية التي يظهر بها مواطنوهما في بعض المقاهي والمجتمعات، وجد خطأه في رؤيته إلى مواطنيه المنتشرين على الطاولات في "الكابولاد" وغيرها من المقاهي في باريس وحين وضَّح البطل إحساسه في التجنّب عنهم، حاول فؤاد تصحيح رؤيته الخاطئة إلى مواطنيه وأعمالهم في البحث عن هويّاتهم وذواتهم في باريس:

«فأجاب فؤاد بهدوء، وهو ينظر في عينيه:

– لا يا عزيزي. فأنا أحسب أنّك على خطأ. إنَّهم لايوحون بالنفور، وأنت لن تنفر منهم إذا أدركت أنَّهم شبّان قلقون، يبحثون عن أنفسهم. إنّنا جميعاً، نحن الشبّان العرب، ضائعون يفتّشون عن ذواتهم بأنفسهم. ولابدَّ أن نرتكب كثيراً من الحماقات قبل أن نجد أنفسنا...»[٦٢]

٧– باريس صورة النقص والاستعلاء عند زائريها

في الواقع «إن صورة باريس لدى زائريها المختلفين تكاد تتكرّر مع فروق بسيطة بين رؤية زائر وآخر، وهذا يرجع إلى أن أكثر أولئك الزائرين كانوا يحملون في نفوسهم "عقدة النقص" تجاه الحضارة الأوروبية، و"عقدة استعلاء" تجاه من ورائهم من جماهير لم تنل حظاً من ثقافة قديمة أو حديثة.»[٦٣] فعقدة النقص والشعور به لم يفارق البطل الإدريسي في معظم فصول رواية "الحي اللاتيني" كأنَّه رجل منعزل في باريس، لايخرج من انعزاله، ونقصه وقلقه الشرقي وخوفه واضطرابه إلّآ إذا اجتمع البطل بفتاة غربية ما أصابها الانحراف.

فمن مشاعر نقصه في الرواية، هو«شعره بأنَّه يتضاءل، حتى يصبح حشرة، ذبابة، قذرة.»[٦٤] ومنها ما يستشعر ويقول مخاطبا نفسه في عقدة نقص وخوف وحرمان الرجال والنساء في الشرق:

«فتيات بلدك اللواتي جعلت منهنّ التقاليد أرواحاً مذعورة بشبح الرجل، ثمّ نشأت في نفس الرجل عقدة بأنَّه يخيف المرأة، فلم يكن لديه بدّ من أن يتوارى. ثم أصبح بدوره يخاف المرأة. وانشقّت الهوة بينهما، وعمقت وعمقت وكانت تمتلئ كل يوم بركامٍ جديد من أحاسيس الكبت والحرمان والخوف.»[٦٥]

٦٠–: م.ن: ٨٠
٦١–:م.ن: ٨٠
٦٢– م.ن: ٨١
٦٣– باريس في الادب العربي الحديث: خليل الشيخ: ٨
٦٤– الحي اللاتيني: ١٦٠
٦٥– م.ن: ٤٩

ولكن لا التعالي يكفي، ولا الأزدراء والنقص .فصفعة الذل لا تمحّي بالفكر، وإنّما بالفعل. ومن هنا كان التصميم على الانتقام، وعلى طريقته، أي طريقة الرجل الذي يستهلك المرأة كموضوع جنسي ثم يلفظها، أو بالأحرى يلفظ البقية الباقية منها أما في روايتي الخندق الغميق وأصابعنا التي تحترق لانرى ذكراً لباريس وأوروبا إلا أقوال محدودة قليلة. منها ما جاء في أصابعنا التي تحترق وسامي، بطل هذه الرواية، يسعى أن يرتبط برفيقة شاكر، وهي فتاة سورية جميلة تعمل مدرّسة في مدرسة صغيرة في شمال سوريا، علاقة الحب الفانية السريعة. فهي، من فرط حبّها لبطل "على ضفاف السين" أو"الحي اللاتيني"كانت ترغب أن تعيش معه تجربة على منوال تجاربه مع فتيات باريس من أمثال سوزان وليليان ومرغريت، وكانت تريد رفيقة شاكر تعرف هل هي تحسن صنع الحب، أو بالأحرى صنع الجنس «مثل سوزان وليليان ومارغريت»، [٦٦]وهذا ما أرادت معرفته من سامي ولكنه لم يجبها لأنه شعر بالانهيار والتلاشي وكانت تجربته مع رفيقة شاكر وفتيات باريس، تجربة باردة، مُرّة هي أيضا طالبة لذة مثلها ولاتبحث عن تجربة الحب الحقيقي. فيقول سامي مخاطباً نفسه أن فتيات باريس يشبهن بشياطين في خيالها ورفيقة شاكر هي فتاة شرقية من أمثالهنّ تلتحق بقائمة النساء اللاتي قد تجرّبهن البطل في باريس:

«سوزان وليليان ومرغريت.. أشباحٍ في عينيها. خيالات في ضميرها. شياطين في جسدها... سوزان باريس، ليليان باريس، مارغريت باريس، وأنتِ أيضا؟ تعيشين في باريس، تموتين في باريس، سوزان وليليان ومارغريت... ورفيقة [شاكر تموتين في باريس وفي جسد البطل]».[٦٧] من هنا نخلص الى القول ان تلك الرواية اسهمت في صياغة الرؤية الفكرية للعالم الغربي على وفق تشكيل مناظره السيكولوجية للأشياء

الخاتمة:

توصّل البحث للنتائج الاتية:

أولا: أن باريس تعدُّ مكانا رفيعا للحضارة الغربية، ولذلك تحولت رؤية صورتها إلى جنة تجذب البطل الراوئي الإدريسي في الحي اللاتيني، أو كأنها قطب استعمارى تجذب الشخصيات الروائية في هذه الرواية، وهذه تبدو في قراءة النص وتحليلاته كما أشرنا إليها في صلب المقالة.

ثانيا: ترتبط صورة باريس في وجدان (سهيل إدريس) بأماكن معينة أسهمت في صياغة رؤيته الفكرية للعالم الغربي وتشكيل منظاره السيكولوجي للأشياء، وهذه الأمكنة هي: الوحدة التي توجد بين شبّان العرب والشبان الباريسيين والحي اللاتيني وجامعة السوربون. والوحدة التي كانت في أحد مطاعم الطلاب تدعى، مطعم "لوي لوغران" والتقاء البطل بطائفة من مواطنيها السوريين واللبنانيين، ومن العراقيين والمصريين والتونسيين.

ثالثا: لقد تكونت مجموعة من العوامل انفردت مظاهر وصور باريس مهمة على الصعيد العلمي والثقافي والأدبي للبطل الإدريسي في رواية الحي اللاتينية وبعض أدباء العرب المعاصرين الذين سافروا إليها و بعض هذه العوامل، كانت النتاج الفكرية، والنقدية التي تولّد من محاضرات جامعة السوربون التي كثيرا ما يستمع إليها البطل وتحمله انبهاراً وإعجاباً بها والسينما والمسرحيات والباريسية والنساء العاريات فيها

٦٦- اصابعنا التي تحترق، سهيل ادريس: ٥٨

٦٧- م.ن: ٥٨-٥٩

في الفضاء الغربى والمقاهي والساحات الباريسية مثل "الأوبرا" وجادّة "الشانزليزه" فتخلق ساحة الأوبرا وواجهات المخازن فيها والاجتياز من جادّة "الشانزليزة" في نفس البطل و الشخصيات الروائية اللاتينية لذة غريبة.

رابعا: تكونت نوع من مشاعر الغربة و الوحشة عند البطل الروائي في رواية الحي اللاتيني بسبب رؤية الطقس الباريسى الكئيب والممطر وصورة بنايات باريس الداكنة والسماء الغائمة فيها كما يشعر البطل بالغربة والوحشة والاضطراب في باريس ويتمنَّى لو كان مكان صديقه سامي في الطائرة ويعود إلى وطنه، لأنَّه طوال الأسابيع الثلاثة الأولى في باريس لم تظهر في ذهنه إلّا صورة جدران كئيبة سوداء وطقس باريس الخريفي وسماؤها الغائمة الممطرة، لذلك لم يُعجب بطقس باريس الخريفي، لأن المدينة في هذا الجو تبدو حزينة وموحشة وكلّما ينظر إلى جدران باريس، «يستشعر الوحشة من هذه الجدران المسوّدة التي تطلّ على الشوارع.»

المصادر و المراجع

أولاً. الكتب والمقالات العربية:

١. ، أدبنا والترجمة، ضمن مجلة الآداب، العدد ٣.بيروت، إدريس، سهيل، ١٩٥٦.
٢. ، أصابعنا التي تحترق، ط٨، بيروت، دارالآداب، إدريس، سهيل ١٩٩٨.
٣. ، أقاصيص أولى، ط ٢، بيروت، دار الآداب، إدريس، سهيل نيسان ١٩٨١.
٤. ،الحي اللاتيني، ط١٤، بيروت، دارالآداب، إدريس، سهيل ٢٠٠٦.
٥. ، مواقف وقضايا أدبية، ط٢، بيروت، دارالآداب، إدريس، سهيل ٢٠٠٠.
٦. ، ذكريات الأدب والحب، الجزء الأول، ط١، بيروت، دار الآداب، إدريس، سهيل ٢٠٠٢.
٧. ، قطع من حوار في مجلة المقاصد،مجلة المقاصد،السنة٤،العدد ٤٢ بيروت، إدريس، سهيل (تشرين الأول ١٩٨٥).
٨. ، محاضرات عن القصة في لبنان، بلا طبع، بيروت، معهد الدراسات العربية العالمية، إدريس، سهيل ١٩٥٤.
٩. في قصصه ومواقفه، ط١، بيروت، دار الآداب، أزوط، جورج:سهيل إدريس ١٩٨٩.
١٠. : صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، دارالمنهل اللبناني،٢٠٠٩ جان نعوم طنوس.
١١. ، في الصيف، ط١،بيروت،دارالكتاب اللبناني، حسين، طه،١٩٨١.
١٢. :باريس في الأدب العربي الحديث، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، خليل الشيخ ١٩٩٨.
١٣. : نرجس في الحي اللاتيني، ضمن مجلة الآداب، بيروت، العدد ٢، سرور، نجيب، ١٩٥٥.
١٤. : تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد شام ١٨٧٠-١٩٦٧،ط٢، بيروت، دار المناهل، سعافين، إبراهيم، ١٩٨٧.
١٥. : الحي اللاتيني عرض وتحليل، مجلة الآداب، مجلد ٢، العدد ٤، بيروت، الشاروني، يوسف ١٩٥٤.

١٦. ، البطل في ثلاثية سهيل إدريس،ط١، بيروت، دار الآداب، الشملي، سهيل، ١٩٩٨.
١٧. ، ابن الخندق الغميق ذهب ليبحث عن نفسه الضائعة، بيروت،جريدة النهار، صيداوي، رفيف رضا ٢٠٠٨/٢/٢٠.
١٨. ، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، ط٤، بيروت، دارالطليعة للنشر، طرابيشي، جرج ١٩٩٧.
١٩. : صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، ط١، بيروت، دار المنهل اللبناني، طنوس، جان نعوم ٢٠٠٩.
٢٠. ، اللغة واللون، ط٢، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، عمر،أحمد مختار ١٩٩٧.
٢١. ، أدب الرحلات، ط١، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، فهيم، محمد حسين يونيو ١٩٨٩.
٢٢. ، ودفه، بلقاسم، التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية (حمامة السلام)، دمشق، مجلة الموقف الأدبي، الكيلاني، نجيب العدد ٣٨٥، آيار ٢٠٠٣.
٢٣. ، ذكرى سهيل إدريس، مجلة الآداب، بيروت، العدد ١٢، مروة، كريم السنة ٢٠٠٨.
٢٤. ، الرواية والمكان،ط١، بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة، رقم٥٧، منشورات وزارة أعلام عراقية، نصير، ياسين ١٩٨٠

ثانياً. الكتب اللاتينية:

٢٥. Genette, Gerard, palimpsests, Sorbonne University Press, Paris, 1982.

. Genete, gerarre, seuil, edseuil, coll, poetiqe, paris, 1987.٢٦